



جامعة إفريقيا العالمية
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مركز البحوث و الدراسات الإفريقية



المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية

تحت شعار:

(تنزيل مقاصد الشرع وتعميق محبة الرسول صلى الله عليه وسلم)
٢٩ - ٣٠ صفر ١٤٣٤هـ، الموافق: ١١ - ١٢ يناير ٢٠١٣م
الخرطوم - السودان

اللجنة العلمية
(الكتاب الأول)



جامعة إفريقيا العالمية
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مركز البحوث والدراسات الإفريقية

المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية

تحت شعار (تنزيل مقاصد الشرع وتعميق محبة الرسول صلى الله عليه وسلم)

29-30 صفر 1434هـ الموافق 11-12 يناير 2013م

الخرطوم - السودان



اللجنة العلمية

(الكتاب الأول)

صفر 1434هـ / يناير 2013م

أعضاء اللجنة العلمية

1. د. حسن علي الشايقي رئيساً.
2. د. إدريس علي الطيب عضواً.
3. د. حسانات عوض ساتي عضواً.
4. د. المرتضى الزين أحمد عضواً.
5. د. محمود حمودة صالح عضواً.
6. د. أمين محمد سعيد عضواً.
7. أ. محمد نور عبد الله عضواً.
8. أ. حسن أبو القاسم أحمد عضواً.
9. أ. المكايي الخضر عضواً.

الإخراج الفني:

1. أ. طارق عبد الله عثمان مصطفى.
2. أ. عبد الناصر علي بن علي الفكي.
3. أ. أمير عبد الله الصافي.
4. أ. عمر فتح العليم محمد.

شارك في التدقيق اللغوي:

1. د. عبد الرافع حماد الأمين.
2. أ. حسن سيد أحمد الناطق.
3. أ. تاج السر بشير صالح.

المحتويات

الصفحة	الموضوع	الرقم
ب	أعضاء اللجنة العلمية	1.
ج	المحتويات	2.
د	مقدمة الكتاب	3.
هـ	تقديم الكتاب بروفيسور حسن مكي محمد أحمد	4.
1	مراحل الدعوة ودورها في تحقيق مقاصد الشريعة (د. أمير محمد سعيد الظاهر - السودان)	5.
35	الهدى النبوي في التسمية مقارنة دلالية (د. ياسر خلف جمود الزبيدي - العراق)	6.
83	فقه السياسة الشرعية من خلال السيرة النبوية (أ.د. علاء الدين الأمير الزاكي - السودان)	7.
121	منهج النبي ﷺ في التعامل مع السفراء والمبعوثين (د. فراس محمد إبراهيم - العراق)	8.
153	التحولات التي أحدثها الإسلام في حقوق المرأة ومكانتها (أ.د. محمد عمر الشاهين - العراق)	9.
199	منهج النبي ﷺ في التعامل مع اليهود من خلال وثيقة المدينة المنورة (أ.د. عبد القادر مصطفى، عميد الرابطة المحمدية - العراق)	10.
241	مظاهر إنسانية الإسلام من خلال تعامل الرسول ﷺ مع غير المسلمين (أ.د. علي عيسى عبد الرحمن - السودان)	11.
275	التحيزات المعرفية الغربية في دراسة السيرة النبوية - مؤتمري وات (1909-2006م) نموذجاً (أ.د. عبد الله محمد الأمين النعيم - السودان)	12.
305	المواقع الإلكترونية في الشبكة العنكبوتية وكثافتها (أ. سحر مسعود ياقوت - مصر)	13.

مقدمة الكتاب:

تستمد بحوث هذا المجلد وأوراقه أهميتها من أهمية السيرة النبوية الشريفة التي جاءت بالهدي القويم في كل مجالات الحياة، والشكر واجب لأصحاب الفضيلة الأساتذة الذين أسهموا ببحوثهم إسهاماً مقدراً، وناقشوا العديد من الموضوعات الحيوية والعلمية المهمة من خلال السيرة النبوية الشريفة، واستخلصوا من رواياتها وأخبارها النتائج والدروس والعبر التي نأمل أن تسهم في تنمية المجتمع والارتقاء به ثقافياً واجتماعياً وروحياً.

يجوي هذا الكتاب تسعة بحوث، شملت المحاور السبعة للمؤتمر وهي: (الرسالة والنبوة)، (حجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أساس الإيمان)، (فقه السيرة وتزليل الأحكام في الواقع)، (هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التعامل مع المرأة مقارنة مع أوضاع المرأة في الغرب اليوم)، (هدية صلى الله عليه وآله وسلم في التعامل مع غير المسلمين)، (موقف الغرب من رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم)، (جهود المسلمين في العصر الحاضر في خدمة السيرة النبوية).

وبذا تمثل هذه البحوث فهرساً لمكتبة شاملة للسيرة النبوية وتزليلها على مقاصد الشرع، وقد وجدت هذه المحاور استجابة واسعة وكبيرة من الباحثين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وغيره، مما يؤكد تعلق المسلمين بالسيرة النبوية وتحاولهم معها وتأكيدهم لحجبتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والله من وراء القصد ،،

اللجنة العلمية للمؤتمر

تقديم الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسوله الأمين.
حب الرسول صلى الله عليه وسلم، كامن ومستحکم في القلوب، وهذا المؤتمر سعي مبارك لتفعيل هذا الحب وتوظيفه وتزيله في خدمة مقاصد الدين. وحب الرسول صلى الله عليه وسلم طاقة متحركة في نفوس أبناء الأمة، انظر كيف يحرك الحب المشاعر والأفئدة ويجعلها في الحج تسير عشرات الأميال ذهاباً وإياباً دون كلل أو ملل وفيهم الكهل والصغير والمرضى.

وانظر إلى المسابح وهي تسبح بحمد الله والصلاة على رسوله في شهادة دائمة على رفع الذكر، وكيف لا يرتفع ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وقدره وارتبط اسمه باسم المولى عز وجل في الشهادة التي لا شهادة بعدها ولا شهادة بقدرها، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

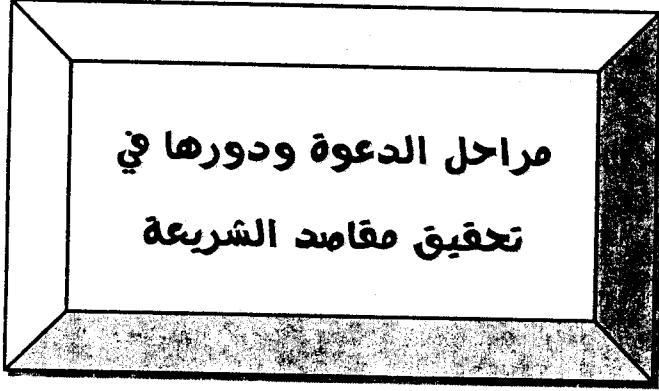
وما أحسن خدمة السيرة والحديث والمنهج النبوي بالبيان والتوضيح والتزليل في خدمة مقاصد الشريعة. واستخراج كنوز السيرة في أدب العهود والاختلاف والاتفاق وكل مقاصد الحياة. إن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لا تكتمل إلا بالفهم والاستيعاب والمضم وإعادة انتاجها كمنهاج حياة ومرجعية ومعالم طريق. إن الخروج من حالة الإفلاس والانفلات والتيه والحيرة التي تمر بها البشرية لا يتم إلا بمعرفة محمد صلى الله عليه وسلم ولا تتم معرفة محمد صلى الله عليه وسلم إلا بإقتفاء أثره وعرض هذا الأثر في إطار تجارب الحداثة والمعاصرة. والحداثة والمعاصرة دون محمد صلى الله عليه وسلم حُجُبٌ ومتاع دنيا زائل ولكن المعاصرة والحداثة في إطار المرجعية المحمدية كما أوضحتها السيرة تجعل للحياة معنى وطعماً وغاية وهدى.

ودراسة السيرة باعتبارها مبین ومكمل للوحي هو مطلب إنسان ما بعد الحداثة والثورة العلمية والمعلوماتية ويحتاج إنسان ما بعد الحداثة إلى أن نقدم له السيرة والحديث وحياة الرسول الكريم في قالب عصري وعقلي وبمختلف الألسن واللغات وهذا مقصد كبير

لا يستوعبه مؤتمر أو جماعة ولكن مساهمة المؤتمر أو الجماعة أمر مبارك وسعى قاصد وفي إطار هذا السعى القاصد تجيء هذه الكلمات ونرجو أن يكون هذا المؤتمر فاتحة خير في مشروع تعميق المحبة وتزليل مقاصد الدين.

بروفيسور/ حسن مكي محمد أحمد

مدير جامعة إفريقيا العالمية



(المحور الأول: النبوة والرسالة)

إعداد

د. أمين محمد سعيد الطاهر

الأستاذ المساعد - رئيس قسم الأديان - مركز البحوث والدراسات الإفريقية

جامعة إفريقيا العالمية - السودان

مراحل الدعوة ودورها في تحقيق مقاصد الشريعة

د. أمين محمد سعيد الطاهر (*)

مستخلص الورقة:

ستتناول هذه الورقة استشراف المبادئ والقيم الإنسانية التي أرساها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.. اثر المراحل التي مرت بها الدعوة المحمدية إلى الله سبحانه وتعالى في توطيد محبة الرسول وتثبيت مقاصد الشرع في النفوس.. من خلال سيرته صلى الله عليه وسلم.. ولأن السيرة النبوية تعتبر الرصيد التاريخي للأمة الإسلامية خاصة.. وللعالم الإنساني عموماً.. فإنها المعين الرصين الذي يمكن أن يستمد منه زاد المسيرة وإرشاد الأجيال.. وكل من درس هذه السيرة العطرة النقية.. ومنحها حقها من النظر والتفكر والتحقق.. يجد نفسه أمام نسق من التاريخ العجيب الذي لا نظير له من الانسجام والتوافق.. والذي علا به الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم.. من عنصر المادة إلى درجات الارتقاء في عالم الروح.. عبر تنزيل مقاصد الشارع على ارض الواقع عملاً وأسلوباً حياتياً لا مثيل له.

فمحمد صلى الله عليه وسلم -الرسول الإنسان- قد تمكن من إرساء المبادئ والقيم الإنسانية العامة.. وكان صلى الله عليه وسلم إنساناً رحيماً

(*) رئيس قسم الأديان، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة أفريقيا العالمية، السودان.

بالإنسانية.. فقد سجل رقماً في التأصيل لتقدم كافة البشرية.. وأن من معجزاته أنه أضاف للتاريخ ما عجزت عنه الحقب التي سبقته والتي أعقبته من معالجاتها.

لذا سيأتي هذا البحث بمحاورة استقراء واستنباطاً عبر قراءة جزء من حياته صلى الله عليه وسلم مهم للغاية؛ ألا وهو كيفية تحقيق مقاصد الشارع في جعل الحياة والأخرة لهما علاقة وطيدة بالإنسانية.

تهدف الورقة لإبراز جهود الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في بناء الشخصية والهوية الإسلامية.. خاصة عبر مراحل الدعوة إلى الله المختلفة في سبيل تحقيق التوافق والانسجام للإنسانية جمعاء من خلال كتلوج الحق سبحانه وتعالى.. في كيفية إدارة الدنيا وما فيها وما عليها لتكون مطية للأخرة.

لذا تتبع أهمية الورقة من موضوعها.. وهو معالجة البعد الإنساني على ضوء أهمية التعريف بحقوق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. وإسهاماً في وضع ميثاق عالمي لحماية حقوق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وسانر الأنبياء والرسل على البشرية.. فلإسلام ودوره تأثير في تشكيل التعبير السياسي والاجتماعي والثقافي والديني المتأثر به، لأنه دين الحق المرسل به من الحق سبحانه.

عليه: سيتبع الباحث المنهج الوصفي والتاريخي.. للتوصل للنتائج والتوصيات التي تفيد في هذا الموضوع.
وبناءً على ذلك سيتم تقسيم هذه الدراسة إلى أربعة محاور:

المحور الأول: الأحوال الدينية والاجتماعية للعرب قبل الإسلام.
 المحور الثاني: مراحل الدعوة الأولى والثانية.
 المحور الثالث: ماهية مقاصد الشريعة.
 المحور الرابع: دور مراحل الدعوة في تحقيق مقاصد الشريعة.
 ثم تتبع الدراسة خاتمة ونتائج وتوصيات.. وحاشية بثبت المراجع
 المستخدمة في البحث.

Abstract:

This paper discussed the main principles of humanity, that have been taught by Prophet Mohammed "peace be upon him", the effect of the stages of Prophet's Biography, on consolidating the Prophet's love in people minds and hearts. Because his Biography "peace be upon him" has a historical value "Historical balance", especially for the Islamic nation and for all humankind. Everyone who studied this biography carefully, with high consideration, reflection and verification find a miraculous coordinated and harmonic historical series of event. By which prophet Mohammed "peace be upon him" rose with his Companions "god bless them" from the

materialism to grades of improvement in the spirit world, by downloading purposes of Islamic law "Islamic Mqasadd alshariah" on the ground pursuant to a way of life that is unparalleled.

Prophet Mohammed "peace be upon him" has been able to establish the principles and human values. He "peace be upon him" was a merciful man upon all humanity. And of his miracles, he added to what eras "that preceded and followed him" failed to process. So the chapters of this research will go through a reading to a part of his life, peace be upon him, that is how to achieve the purposes Islamic law "Islamic Mqasadd alshariah" in the Consolidation the relationship of life and the afterlife with humanity.

The paper aims to highlight the efforts of Prophet Mohammed "peace be upon him" in building personal and the Islamic identity, especially through the stages of the call "dawaa".

So importance of the paper stems from the theme... which addresses the human dimension. It

highlights the importance of the definition of Prophet Mohammed "peace is upon him" rights. Contribution in the development of a World Charter for the Protection of the Rights of Prophet Mohammed "peace is upon him" and other prophets and messengers to humankind

So, Researcher will follow the historical and descriptive method... to reach the findings and recommendations. Based on this study will be divided into four themes

Axis I: religious and social conditions of the Arabs before Islam

Axis II: stages of the first call and the

Axis III: what the purposes of the Islamic law

Axis IV: phase's advocacy role in achieving the purposes of the Islamic law.

Then the study followed by conclusion, the findings and recommendations... finally footnote bibliographic references used in the search.

المحور الأول

الأحوال الدينية والاجتماعية للعرب قبل الإسلام

تعريف الأديان لغة واصطلاحاً:

الدين في اللغة بمعنى: الطاعة والانقياد. مشتق من الفعل الثلاثي: (دان)، وهو تارة يتعدى بنفسه، وتارة باللام، وتارة بالباء، ويختلف المعنى باختلاف ما يتعدى به، فإذا تعدى بنفسه يكون (دانته) بمعنى ملكه، وساسه، وقهره وحاسبه، وجزاه. وإذا تعدى باللام يكون (دان له) بمعنى خضع له، وأطاعه. وإذا تعدى بالباء يكون (دان به) بمعنى اتخذته ديناً ومذهباً واعتاده، وتخلق به، واعتقده. وهذه المعاني اللغوية للدين موجودة في (الدين) في المعنى الاصطلاحي كما سيأتي؛ لأن الدين يقهر أتباعه ويسوسهم وفق تعاليمه وشرائعه، كما يتضمن خضوع العابد للمعبود وذلت له، والعابد يفعل ذلك بدوافع نفسية، ويلتزم به بدون إكراه أو إجبار.

وفي الاصطلاح الإسلامي: التسليم لله تعالى والانقياد له. والدين هو ملة الإسلام وعقيدة التوحيد التي هي دين جميع المرسلين من لدن آدم ونوح إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} (1) {وبعد أن جاء الإسلام فلا يقبل الله من الناس ديناً غيره، قال الله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (2)، وقال تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ

(1) سورة آل عمران الآية: 19.

(2) سورة آل عمران الآية: 85.

لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهِ وَالْمُنْحِقَةَ وَالْمَوْفُوذَةَ وَالْمُنْتَرِدِيَةَ وَالنَّطِيحَةَ وَمَا أَكَلَ السَّنْبُعُ إِلَّا مَا دَكَّيْتُمْ وَمَا دُبِحَ عَلَى النُّصْبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقُ الْيَوْمِ بَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَثَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (1)، (2).

الدين في الاصطلاح العام:

اختلف في تعريف الدين اصطلاحاً باختلافاً واسعاً حيث عرفه كل إنسان حسب مشربه، وما يرى أنه من أهم مميزات الدين. فمنهم من عرفه بأنه (الشرع الإلهي المتلقى عن طريق الوحي) وهذا تعريف أكثر المسلمين. ويلاحظ على هذا التعريف قصره الدين على الدين السماوي فقط، مع أن الصحيح أن كل ما يتخذه الناس ويتعبدون له يصح أن يسمى ديناً، سواء كان صحيحاً، أو باطلاً، بدليل قوله عز وجل: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (3).. وقوله عز وجل: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} (4)، فسمى الله ما عليه مشركو العرب من الوثنية ديناً. أما غير المسلمين فبعضهم يخصه بالناحية الأخلاقية كقول (كانت) (بأن الدين هو المشتغل على الاعتراف بواجباتنا كأوامر إلهية). وبعضهم يخصه بناحية التفكير

(1) سورة المائدة الآية: 3.

(2) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. ناصر العقل و د. ناصر القفاري، ص 10.

(3) سورة آل عمران الآية: 85.

(4) سورة الكافرون الآية: 6.

والتأمل كقولهم⁽¹⁾: (الدين هو التجربة الصوفية التي يجاوز الإنسان فيها متناقضات الحياة). إلى غير ذلك من التعريفات التي نظرت إلى الدين من زاوية، وتركت أوجهاً وزوايا عدة.

وأرجح التعريفات أن يقال: الدين هو اعتقاد قدااسة ذات، ومجموعة السلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات دُلاً وحباً، ورغبة ورهبة. فهذا التعريف فيه شمول للمعبود، سواء كان معبوداً حقاً- وهو الله عز وجل -أو معبوداً باطلاً، وهو ما سوى الله عز وجل. كما يشمل أيضاً العبادات التي يتعبد الناس بها لمعبوداتهم، سواء كانت سماوية صحيحة كالإسلام، أو لها أصل سماوي ووقع فيها التحريف والنسخ كاليهودية، والنصرانية، أو كانت وضعية غير سماوية الأصل كالهندوسية، والبوذية، وعموم الوثنيات. كما يبرز التعريف حال العابد؛ إذ لا بد أن يكون العابد متلبساً بالخضوع دُلاً وحباً للمعبود حال العبادة؛ إذ إن ذلك أهم معاني العبادة. يبين التعريف أيضاً هدف العابد من العبادة، وهو إما رغبة أو رهبة، أو رغبة ورهبة معاً؛ لأن ذلك هو مطلب بني آدم من العبادة. والله أعلم⁽²⁾. والدين أشمل من المذهب، وأوسع مفهوماً؛ لأن الدين يشتمل على اعتقاد الإنسان حول الخالق والمخلوقات وأمور الغيب

(1) انظر: (التصوير في إفريقيا دعوة للدين لم استعمار فكري ثقافي، د. أمين محمد سعيد الطاهر، ط1، 2010م، الخرطوم، ص 4.. وللمدخل السهلا لدراسة الأديان في إفريقيا وآسيا، ج1، أولاً: اليهود واليهودية في إفريقيا، د. أمين محمد سعيد الطاهر، ط1، 2012م، ص "20-24").

(2) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، ص 11.

والآخرة، أما المذهب فيكون في بعض هذه الأمور أو مسائل منها، وقد يكون في أمور الحياة فقط⁽¹⁾.

تقسيم الأديان: تنقسم الأديان التي يدين بها البشر باعتبار النظر في المعبود إلى قسمين

القسم الأول: أديان تدعو إلى عبادة الله .

وهي في الدرجة الأولى: الإسلام، ثم يليه اليهودية، أما النصرانية فإن واقعها وحقيقتها الشرك، وهو عبادة المسيح عليه السلام والروح القدس مع الله تعالى، إلا أن أصحابها يزعمون أنهم يعبدون الله الواحد ذو الثلاثة أقانيم (الأب الروح الجسد).

القسم الثاني: أديان وثنية شركية تدعو إلى عبادة غير الله عز وجل وهي: الهندوسية والبوذية وغيرها من الشركيات القديمة والحديثة، والنصرانية يمكن اعتبارها من هذا القسم على اعتبار عبادتهم للمسيح والروح القدس⁽²⁾.

وواقع العالم الديني وواجب المسلم تجاهه من البديهي لدى كل مسلم أن الإسلام -عقيدة وسلوكاً- هو الميزان الصحيح الحكم، والحكم العدل في تقويم الأديان والمذاهب، والحكم على مدى استقامة الأمم والشعوب أو انحرافها. إذا فالدين هو الخضوع والطاعة.. وعموم البشرية في حاجة ماسة للدين لهداية

(1) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. ناصر العقل و د. ناصر ألقفاري، ص10. والمنخل السهلا لدراسة الأديان في إفريقيا وآسيا، د. أمين محمد سعيد الطاهر، ج1، أولاً: اليهود واليهودية في إفريقيا، ط1، 2012م، ص "20-24".

(2) سعود بن عبد العزيز للخلف، سابق- ص 14.

العقول للحق وإلى طريق الخير.. هذا لأن العقل لوحده لا يمكن أن تكتمل رؤيته في الوصول للمعرفة.. والإيمان بالله ضرورة للحياة أفراداً وجماعات.. لأنه أصل في ترسيخ قاعدة أساسية في الحياة وهي العدل.. ويسمو بالإنسان في سلم الوجود ويوثق صلته بأخيه وبالله خالقه.. ثم أنه يهذب الطبيعة الإنسانية ويرقيها بوضعه للضوابط التي تحمله تجاه الوعي والانضباط منها "العدل والإخاء.. والمساواة.. وكره الظلم.. والطغيان.. والتعالي والكبر".. فإذا كان الدين مصلحة ضرورية لحياة البشرية فإنه أيضاً به تكتمل السعادة بشفاء القلوب والأبدان.

قبل ظهور الإسلام على يد محمد صلى الله عليه وسلم.. فإن الأحوال الدينية في شبه الجزيرة العربية كانت مسرحاً للعديد من الرسالات السماوية التي أخبرنا عنها القرآن الكريم.. كما عبد العرب النجوم والكواكب وغيرها.. غير أن عبادة الأصنام انتشرت بصورة كبيرة جداً.. إضافة لليهودية في كل من خيبر ويثرب والنصرانية في بعض أهل الحيرة والغساسنة⁽¹⁾.

لكن الأحوال الاجتماعية بين العرب قبل الإسلام كانت مختلفة من منطقة وأخرى.. حيث كانت مجتمعات المدن تنقسم بين الأمراء والملوك.. أما البادية فقد عرفت فيها طبقات السادة والعيبد.. وهي مجتمعات سادت بها أسوأ العادات

(1) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. ناصر العقل و د. ناصر ألقفاري، ص10. والمدخل السهلا لدراسة الأديان في إفريقيا وآسيا، د. أمين محمد سعيد الطاهر، ج1، أولاً: اليهود واليهودية في إفريقيا، ط1، 2012م، ص 20-24'.

الذميمة مثل شرب الخمر وواد البنات والثأر... الخ. غير أنه بجانب ذلك اشتهر العرب بالعادات الكريمة مثل الكرم والوفاء بالعهد⁽¹⁾.

وقد أطلق العرب على بلادهم اسم جزيرة العرب.. إلا أن التعبير الجغرافي الصحيح هو شبه جزيرة العرب.. وقد سماها الجغرافيون تهامة.. وسكانها هم العرب من الجنس السامي الذي ينتسب إلى سام ولد نوح عليه السلام.. كما أن اللغة العربية هي احدي اللغات السامية.. وقد قسمهم المؤرخون إلى قسمين العرب البائدة وهي التي ورد ذكرها في القرآن الكريم من قوم عاد وهود وثمود وصالح عليهم السلام.. وثانياً العرب الباقية وينقسمون إلى قسمين: عرب قحطانيين وهم العرب العاربة ومن قبائلهم حمير وكهلان وهمدان وكنده.. أما القسم الثاني فهم العرب العدنانيين وهم العرب المستعربة، وأهم قبائلهم عدنان ومعد ونزار وتشعبت من قبيلة نزار إباد وربيعة ومضر⁽²⁾.

المحور الثاني

مراحل الدعوة الأولى والثانية (بمكة).

شرع محمد صلى الله عليه وسلم يكلم الناس في الإسلام.. ويعرض عليهم الأخذ به باعتباره ديانة أرسله الله بها.. وأن ينبذوا عبادة الأصنام والأوثان؛ ويعبدوا الله الواحد الذي لا شريك له ولا ولد. غير أنه صلوات الله

(1) نفس المصدر السابق، نفس الصفحة.

(2) انظر: (الكامل في التاريخ، ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن الجزري، دار صادر، بيروت، 1996م.. و البداية والنهاية في التاريخ، ابن كثير، أبو الفداء الحافظ بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، 1997م.. والأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، طبيروت ومكة المكرمة، 1979م).

وسلامه عليه كان يدعو لذلك سراً.. ومن ثم انطلقت الدعوة جهراً.. وجميع تلكم الأحداث والرسول صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة.. لم يهاجر للمدينة والتي فيها صارت الدعوة تنحو منحى تثبيت الشرائع الربانية وتحقيق مقاصدها العليا التي شرعها الله. لذلك ستكون معالجة الورقة حول المرحلتين الأولى والثانية بمكة المكرمة لما لها من دور أصيل في سبيل تثبيت تلكم المقاصد العليا والكلية التي شرعها الشارع في تمكين دين الله عز وجل.

مرحلة الدعوة الأولى السرية بمكة المكرمة:

مرت الدعوة للإسلام في مكة المكرمة بمرحلتين.. مرحلة أولى سرية؛ وثانية جهرية.. وقد تخللت المرحلتين أحداث مرتبطة بظروف الدعوة ومسيرتها.. كما واجهت تلكم المرحلتين من الدعوة معارضة قريش؛ التي تفننت في أساليبها وتنوعت فيها بل وتطورت في معاداتها للدعوة.. إلى أن هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة.

فقد كانت طبيعة الدعوة في المرحلة المكية الأولى سرية.. وكان المعنيون بها أهل بيت النبي صلوات الله وسلامه عليهم، وجميع من توسم الرسول فيه الخير.. وقد اعتنق الدين كل من خديجة بنت خويلد؛ وزيد بن حارثة؛ وعلي بن أبي طالب؛ وأبو بكر الصديق؛ وكان مكان تعليم القرآن للمسلمين من النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم المخزومي.. وبدأت هذه الدعوة فور نزول آيات سورة المدثر ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ وَتَيَّابِكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾⁽¹⁾؛ وقد كانت هذه الأوامر المتتابعة القاطعة

(1) سورة المدثر الآيات: 1-5.

إيذاناً له صلى الله عليه وسلم، بأن الماضي قد انتهى بمنامه وهدونه وسلامه، وأنه أمام عمل جديد يستدعي اليقظة والتشمير والإنذار والاعذار، والاعتماد على الله⁽¹⁾.

شرح صلى الله عليه وسلم، النبي محمد؛ يكلم الناس في الإسلام، ويعرض عليهم الأخذ بالدين الذي أرسله الله به.. وأن ينبذوا عبادة الأصنام.. غير أنه كان يدعو سرا حذراً من عصبية قريش لشركها.. فأجابه نفر عرفوا في التاريخ بالسابقين⁽²⁾.

ومن خلال إسلام هؤلاء أخذت الدعوة في الانتشار بمكة وخارجها.. وقد كان جبريل عليه السلام يأتيه ويعلمه صلى الله عليه وسلم ويعلم الناس مقاصد الشارع من أجل تنمية وترقية الفرد والمجتمع.. عندئذ أخذ خبر الدعوة ينتشر ويتسرب.. إلا أن أساطين قريش ظنوا أن هذا الأمر لن يتعدى أن يكون مثله كمثل أولئك المتدينين الذين يتكلمون في الإلهية وحقوقها؛ كما صنع أمية بن أبي الصلت، وقس بن ساعده.. وغيرهم. واستمرت هذه المرحلة حوالي الثلاثة أعوام ثم أمر صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة.

مرحلة الدعوة الثانية الجهرية بمكة المكرمة:

البدء بالدعوة سرا لم يكن خوفاً على حياته صلى الله عليه وسلم، وإنما تدرج من أجل تمكين مقاصد الشارع في النفوس والأهواء.. وذلك عبر الانتقال من طور إلى آخر.. وهو في المقام الثاني يشرع لمبدأ الأخذ بالحيلة والأسباب

(1) فقه السيرة، الغزالي، الشيخ محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، 1418هـ/1965م، ص 90.

(2) السيرة النبوية، ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1955م،

الظاهرة.. وما يقرره التفكير والعقل السليم من الوسائل التي ينبغي أن يتخذها الداعية من أجل الوصول إلى الغايات بالدعوة إلى أهدافها السامية تثبيت مقاصد الشارع وتوطيد محبته صلى الله عليه وسلم.. فنجد حين يقول لعمر: "لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك التي بين جنبيك".. فهو أمر يستوجب أهمية خاصة بأن المحبة أصل في الشرع.. فمحبة الله ورسوله ضرورة لكي تتحقق العبادة دون أهواء أو ميولات شخصية.

ثم تأتي المرحلة الجهرية وبعد أن استمر الرسول صلى الله عليه وسلم، يدعوا الناس سرا نزل أمر أن يدعو عشيرته الأقربين ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾⁽¹⁾.

عندها دعا عشيرته وأهله.. ولكنه صلى الله عليه وسلم، وجد معاداة من غالبية زعماء قريش.. وهذا هو الرد على من يحاولون تصوير هذا الدين بشريعته ومنهاجه بأنه ثمرة من ثمار القومية.. ويدعون أن محمداً صلى الله عليه وسلم، إنما كان يمثل بدعوته آمال العرب وطموحاتهم في ذلك الزمان. لكن: الحقيقة تكمن في أن خصوصية الإنذار للعشيرة والأهل به تلميح لدرجات المسؤولية التي تتعلق بالمسلمين عامة، وبأصحاب الدعوة خاصة.. لأن أدنى درجات المسؤولية خلف مسؤولية الإنسان الشخصية.. أي تجاه نفسه.. وتمثلها فترة العزلة ونزول الوحي عليه صلوات الله عليه وسلامه.. وهي فترة إعداده عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم لنفسه.. أما الدرجة أو

(1) سورة الشعراء الآية: 214.

المرتبة التي تليها فهي مسؤولية المسلم تجاه أهله؛ وذوي قرابته.. وتصل إلى من يلوذون به.

أيضا الحقيقة تكمن في أنه ليس هنالك خلاف بين دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، في قومه ودعوة المسلم في أسرته وبين أقاربه؛ سوي أن الرسول صلى الله عليه وسلم، يدعو لدين جديد والمسلم يتأسى به صلى الله عليه وسلم.. وأن بطء الدعوة خلال سنوات جعلها تمر بالأطوار تلك، لاصطدامها بالعادات والتقاليد التي كان عليها أهل الشرك.. وهو أمر طبيعي.. خاصة في المجتمعات التي انقطع فيها صوت العدل وعميت فيها القلوب.

فكانت معارضة قريش للدعوة.. في هذه المرحلة أيضا.. وأخذت تمارس شتى أنواع وأساليب الترغيب للصد عن هذا الدين، والوقوف في طريق ظهوره.. ويسعى عليه صلوات الله وسلامه.. إلى دعوتهم لإخراجهم من ظلماتهم إلى نور الحق والإيمان.. وفي سبيل ذلك كان يؤسس لتوطيد أسس الشارع في الحياة وينحو تجاه إنقاذ البشرية جمعاء خلال مراحل الدعوة السرية والجهرية يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر.

ومن ضمن الوسائل والأساليب التي اتبعتها قريش لتغيير الناس من الدعوة الجديدة "التهديد.. والإرهاب.. والسخرية والتحقير والاستهزاء والضحك.. يقول تعالى: {وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ} (1).

(1) سورة الحجر الآية: 6.

ويصمونه بالسحر.. ثم وصل بهم الأمر أن طالبوه صلى الله عليه وسلم أن تكون له جنة أو معجزات. بل وسألوه أن يسير لهم جبال مكة ويقطع لهم الأرض... " (1).

قد يتبادر لذهن البعض سؤال مشروع.. وهو: لماذا وجد الرسول صلى الله عليه وسلم كل هذا العذاب هو أصحابه؟ ولماذا لم يعصمهم الله منه؟ يقول الباحث: إن سنه الله في العباد تكليف الإنسان.. وهذا يعني أنه لا بد أن يستلزم أصل العبودية لله تعالى.. لأنه مكلف بالعبادة والطاعة.. وأمر الدعوة للإسلام والجهاد في سبيل ذلك.. وجميع ذلك استلزم تحمل المشاق.. ومجاهدة النفس والأهواء.. وتحقيق مقاصد الشارع في هذه الدنيا وتحقيق التمسك بالعقيدة لإقامة مجتمع معافى.. وبذل الغالي والنفيس من أجل تحقيق هذا الأمر.

المحور الثالث

ماهية مقاصد الشريعة

مقاصد الشريعة تعني جمع مقصد وهو من الفعل قصد.. ويراد به استقامة الطريق وشاهده قوله سبحانه: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (2).

(1) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الصليبة، مهدي رزق الله أحمد، دار إمام الدعوة للنشر والتوزيع، ج1، 2003م، ص192.

(2) سورة النحل الآية: 9.

وقد عرفها العلماء من الفقهاء والأصوليين.. بقولهم: "قاعدة الأمور بمقاصدها: حيث يراد بالمقاصد ما يريده ويستهدفه المكلف ويضمّره في نيته ويسير نحوه في عمله.." (1).

ومن ذلك قول الإمام الغزالي: مقصود الشارع من الخلق: أن يحفظ عليهم دينهم ونفوسهم وعقلوهم وأموالهم (2).

وقول الإمام الشاطبي الذي يري أن الشارع قصد بالتشريع إقامة المصالح الأخروية والذنيوية (3).

وأن المقصد مشتق من الفعل يقصد؛ ويراد به عدة معان منها الاستقامة على الطريق والعدل والاعتماد والتوجه.. وفي الاصطلاح: المقاصد ما يريده ويستهدفه المكلف.. ويضمّره في نيته.. ويسير نحوه في عمله. أيضاً هي المصالح التي تعود على العباد في دنياهم وآخرتهم؛ سواء أكان تحصيلها عن طريق جلب منفعة أو دفع مضرة (4).

وعموم القول أن مصالح الناس في الدنيا هي كل ما ينفعهم ولهم فيه فائدة وصلاح وسعادة.. بل يمكن القول بأن المصالح تكمن في كل ما يساعدهم على تجنب الأذى والضرر، ودفع الفساد إن عاجلاً أو آجلاً.

(1) قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي، الكيلاني، عبد الرحمن إبراهيم ط، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ودار الفكر بدمشق، 2000م.

(2) المستصفي من أصول الفقه، الغزالي، أبو حامد، ومعه فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، دار بيروت.

(3) الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، 1969م.

(4) نفس المرجع السابق.

ويمكن للباحث أن يخلص إلى أن حفظ نظام الأمة يكمن في المقاصد العليا للشريعة.. وذلك باستدامة صلاحهم؛ وصلاح الإنسانية جمعاء.. وهي: مقاصد كلية.. مقاصد خاصة.. مقاصد جزئية.. مصالح ضرورية.. مصالح حاجية.. مصالح تحسينية⁽¹⁾.

ومجمل الحديث أن مقاصد الشرع متجدده كما أنها تتناسب الفطرة الإنسانية.. أضف لذلك أن أحكامها تقبل الاجتهاد والتعليل.. فضلا عن مقدرتها على ترتيب وتنظيم أحكام الحياة.. فلا مكان للمصادفة في هذا الكون.. وهذا بكل تأكيد قد أوجد العلاقة بين المقاصد والأفعال وهي علاقة وطيدة إذ أن الفعل يغدو عبثًا إن خلا من المقصد والغاية.

عليه فإن الشريعة ومقاصدها لا يمكن تجاهلها في توجيه حركة واقع الكون والبشرية.. ليس لأن مقاصد الشريعة رحمة كلها ومصالح كلها!! بل لأنها الفلسفة التي توضح مقاصد ومراد الإله -الله- الخالق الأعظم الذي لا معبود سواه.. وهو الضابط لحركة المكلفين.. وعموم المخلوقين.. وصدق جل في علاه حين قال: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (2).

(1) انظر: المستصفي من أصول الفقه، ومعه فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، الغزالي، أبو حامد، دار بيروت.. و قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي، الكيلاني، عبد الرحمن إبراهيم، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ودار الفكر بدمشق، 2000م.

(2) سورة الجاثية، آية 18.

ثم أن قضية الربط بين المقاصد التي أَرادها الشارع وبين العلوم قضية مهمة جداً لأن المقاصد أنت لتحقيق مصالح الناس بواسطة الارتباط الوثيق بين الدين والواقع.. وجوداً وعملاً. بأن

المحور الرابع

دور مراحل الدعوة في تحقيق مقاصد الشريعة

مراحل الدعوة من سريه إلى مرحلة الدعوة فيما بعد الجهرية إلى الهجرة.. لعبت دوراً كبيراً في تحقيق مقاصد الشارع.. لأن هذه المراحل رغم عدد سنواتها إلا أنها تطورت بتدبير رباني إلهي لكي يتم فيها التأسيس للحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. والباحث الحاذق إذا استقرأ هذه المراحل فإنه يجد أن الأحداث أتت عبر تطورات هذه المراحل لتؤدي الدور الأساس في تحقيق المقصد من التشريع .

لقد لکن دعت رحمة الخالق وحكمته أن تكون هذه المراحل بهذه الكيفية لتجعل من التشريع أمراً حياتياً يُعالج من قبل حكيم عليم.

فقد كانت معركة بدر مثلاً.. كأول تجربة في التضحية من أجل القيم والمبادئ.. فيما بعد التأسيس خلال مرحلتي الدعوة السرية والجهرية بمكة المكرمة.. والقتال في سبيله تعالى والمسلمين في ذلك الضعف وتلك القلة.. وكذلك تحقق فيها الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغانم والخير الوفير.. فالمعركة كانت رسالة عميقة رصينة وتجربة تمحيصية للمسلمين.. وقد شاءت الحكمة الإلهية أن تعالج الموقف في ذلك اليوم تجربة الغنائم والأموال مع الفقر والحاجة! وذلك عبر وسائل تربوية دقيقة أنت في وقتها

المناسب.. مقصداً شرعياً.. فنزلت الآيات في كيفية توزيع الغنائم.. وما هو مصير الأسري.. حين ذلك ازداد المسلمون يقيناً فحمدوه سبحانه وتعالى⁽¹⁾.
ونجد في هذه الفترة أيضاً كيفية تجلي مبدأ الشورى الذي يكمن في نزول النبي صلى الله عليه وسلم على رأي أصحابه، وهو التشاور في كل الأمور التي تهم الأمة.

وكيف كان مشهد المحبة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عندما دار القتال وقبل أن يُدار.. هذه المحبة أبعدهم عن أنانيتهم وأنبئت فيهم القوة والمنعة وجعلتهم ينتصرون بإذن الله.. وهو مقصد تشريعي قيم في حد ذاته يرفع الإنسانية جمعاء من الأدنى للأعلى بأخذ العبر.

يرى الباحث إنَّ عوامل النهضة اليوم ليست ذات فوارق عن الأمس، ولعل هذا ما يصبو اليه البحث إلى الإجابة عليه، وقد تمحور النقاش حول الوحدة الإسلامية بمناقشة أسباب الانحطاط وإيجاد الحلول اللازمة، من خلال التأصيل النبوي لمعاني الوحدة الاجتماعية وأثرها في نهضة الأمة، حتى يتحقق للمسلمين الحلم الذي تبدد باختفاء دولة الخلافة الإسلامية، التي استبدلت بالحدود الدولية، والنظرة القطرية.. والذي يتأمل في عموم مفهوم السُّنة - أي القولية والفعلية والتقريرية والوصفية في الخلق والأخلاق - حري به أن يبصر أنَّ السُّنة بهذا المعنى الواسع استعملها النبي صلى الله عليه وسلم في تأسيس المساواة في كافة مراحل الدعوة.

(1) فقه السيرة، البوطي، محمد رمضان البوطي، بيروت، 1999م، ص128.

وبالعودة لنشأة الوحدة الإنسانية؛ فإنَّ مشيئة الله تعالى أرادت منذ الخليفة الأولى تحقيق مبدأ الاستخلاف الذي حدّدت له الإنسان والرسالة ككيان فاعل ينظم تلك الأدوار، لتحقيق هدف الاستخلاف هو هدف يتمثل في دور الاستخلاف في إعمار الأرض، وبسط الأمن السياسي والاقتصادي، والعدل، والمساواة، ومحاربة الفقر والتسلط والظلم والجبروت، وغير ذلك من الوسائل المساعدة على إسعاد الناس.. وهو يحقق جانباً من جوانب التمكين للأمة الإسلامية⁽¹⁾ قال الله تعالى: {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}(2).

أضف إلى ذلك؛ حرص النبي صلى الله عليه وسلم على ربط الشعائر الدينية كالمعاملات والعبادات- بالمساواة، فهذه الصلاة نادي النبي صلى الله عليه وسلم للاجتماع لها، بل وتسوية الصفوف⁽³⁾، وتكرّر روح الجماعة في عبادة الصوم بالزيادة في الإنفاق والبدل، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ

(1) انظر: شبكة المشكاة الإسلامية منهجية النبي صلى الله عليه وسلم في بناء وحدة الأمة.

(2) سورة الحج الآية: 41.

(3) عَنْ أَبِي سِنْعُوْدٍ قُل: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَحُ مَنَّاكِنًا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ: (اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِينِي مِنْكُمْ أَوْلُوا الْأَخْلَامَ وَالنَّهْيَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ). قَالَ أَبُو سِنْعُوْدٍ: قَاتَنْتُمْ الْيَوْمَ أَشَدَّ اخْتِلَافًا ، وقال صلى الله عليه وسلم: (لِتَسَوُّوا صُفُوفَكُمْ أَوْ لِيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وَجُوهِكُمْ). انظر: صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها، برقم 659، 323/1-324. ويفهم من هذه النصوص معنى الوحدة الإسلامية، التي تنادي بمبدأ المساواة، وفي هذا ما يشير للتلاحم والتعاضد، وعكسه يؤدي للفرقة (وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ)، وهذا من البيان الفعلي اليوم بدرجة لا يحتاج بعدها لأي تفسير ما.

جبريلُ يلقاهُ في كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجُودٌ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ⁽¹⁾.

وقس على ذلك شعائر الحج، والزكاة، والجهاد.. وهذا ما رسمه الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم من الناحية النظرية، بوصف البشرية كياناً موحداً له أهداف وغايات ووسائل يتبعها ليحققها على الإطارين النظري والتطبيقي، لذلك فإن الجانب العملي تحقيق مقاصد الشارع- في حياته صلى الله عليه وسلم يمثل الوحدة الإسلامية والمساواة للبشرية معاً.

ولعلنا في هذه الجزئية نلقي الضوء على جانب من منهجه صلى الله عليه وسلم، بوصفه داعياً لوحدة البشرية والمساواة تحت أسس وأطر محددة. وشخصيته صلى الله عليه وسلم نموذجاً موحداً وموصلاً للأمة في منهجيته للدعوة العالمية، على صعيد الثقلين الإنس والجن⁽²⁾.

وخلال مراحل الدعوة المختلفة اختلف مفهومه صلى الله عليه وسلم في مكة عنه في المدينة، فالطابع المكي له مشكلات جذرية تُعدُّ معوقات أساسية في طريق الوحدة والمساواة، فالشرك وتعدُّ الآلهة فيه من الناحية العقلية والمنطقية ما يؤكد أن البيئة غير مؤهلة لِتَحْمُلِ الرسالة المحمدية ذات الأبعاد العالمية في إطار وحدوي، وهذا يتنافى مع التعددية التي كانت تمارس داخل المجتمع المكي الضيق في مفهوم تعدُّ الآلهة، فكيف بالدعوة لتوحيد العالم

(1) أخرجه الشيخان: البخاري في باب أجود ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكون في رمضان برقم 1803، ومسلم في كتاب الفضائل، باب كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح المرسله، برقم 1208. ولهذا الحديث روايات عدة.

(2) السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، مركز بحوث السنة والسيرة، 195-196.

أجمع نحو إله واحد وعبادة موحدة، ونظام موحد، لذلك غلب على الخطاب النبوي في هذه المرحلة جانب القدوة على طابع القول والتقرير.

ثم أن التسامح وفهم الواقع الاجتماعي أكسب الرسالة في مهدها طابع النجاح، فالدعوة في تلك المرحلة كانت تحدياتها في مقابل معطياتها غير قابلة للمقارنة. والسر الأوحى في إنجاحها هم أصحابها التي أثقلت بالتربية النبوية الفريدة، عن خباب بن الأرت قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو محمر الوجه، فقال: (لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمُشَطِّ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرُفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُوضَعُ الْمِشَارُ عَلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِأَثْنَيْنِ مَا يَصْرُفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ)⁽¹⁾.

وعلى الرغم من أن الدعاء شيء مشروع غير أن ترتيب الأولويات وإتباع المنهجية كان سببا للتربية، أي: يا خباب، هذا هو الدين.. وكانت هذه مرحلة تأسيس معان عميقة في صدور حملة الدعوة والذين ستقع على عاتقهم مسؤولية بث مقاصد الشارع في خلقه.. ولأن أطر الدعوة أطر عالمية، كان مشروع الهجرة بعد أن استنفدت كافة أشكال التكيف الاجتماعي في مكة في مرحلتها السرية والجهرية، بل إن الإسلام الاجتماعي تمركز ثقله العددي في المدينة، أضف لذلك استتباب الأمن، وحرية الدعوة،

(1) صحيح البخاري، كتاب المناقب، برقم 6544، 2546/4.

وتأسيس قواعد المجتمع الإسلامي. كل هذه العوامل تحتاج لأرض تنطلق منها تلك المفاهيم، وترسم على أرضها مشاريع الوحدة الإسلامية، التي هي في صميم أهدافها مقاصد الشريعة والدعوة لوحدة الإنسانية العالمية، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾، فالرسل بُعثوا للرحمة، ومحمد صلى الله عليه وسلم أرسل رحمة للعالمين، فلذلك صار أماناً للخلق لما بعثه الله تعالى، أمين الخلق العذاب إلى نفخة الصور، وسائر الأنبياء لم يطوا هذا المحل، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: (أنا رحمة مهداة)، يخبر أنه بنفسه رحمة للخلق من الله تعالى، وقوله: (مهداة)، أي: هدية من الله تعالى للخلق⁽²⁾.

وأبرز الأسس التي قام عليها المجتمع الإسلامي الأول في المدينة كنموذج مصغر لوحدة ومساواة الإنسانية: (وضع دستور المدينة.. وبناء المسجد النبوي، بحسابه منطلقاً تربوياً وسياسياً في آن واحد، ثم قيام مبدأ الأخوة الإسلامية بين المهاجرين والأنصار.. على الحق والمواصاة).

والقراءة المتأنية في مصدر السيرة العطرة تُخلصُ إلى أن (الأمة) لها

مفهومان:

الأول: مفهوم نظري في نصوص القرآن والسنة. وهو مفهوم يقدم النموذج الذي يجب أن تكون عليه الأمة وفق دستور رباني منهجي يحفظ لها بقاءها واستمرارها، كأمة رائدة.

(1) سورة الأنبياء الآية: 107.

(2) تفسير القرطبي، القرطبي، محمد بن أحمد أبو عبد الله، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، ط/2، دار الشعب، القاهرة، 1372هـ، 63/4.

والثاني: مفهوم تطبيقي عملي: تَمَثَّل في نولة الرسول الأولى، ثم الخلافة الرائدة.

وهذان المفهومان يجعلان مرتكزات الأمة تدور على عناصر أربعة: عنصر بشري، وعنصر فكري، وعنصر اجتماعي، وعنصر زمني. وبالنظر في هذه المعايير؛ فإنَّ عنصر البشر لا يشترط فيه الروابط الدموية أو الجغرافيا ولا الكم العددي، بل هي أمة ذات كيان ودستور عادل وصالح، بحيث يتوقف ميزان البناء والهدم فيه بحسب تفاعل تلك العناصر مع مفاهيم الأمة: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}(1).

فإنَّ التوافق مع شروط الأمة هو الضامن الوحيد لاستعادة وبقاء خلافة الله تعالى في الأرض قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}(2).

وخاتمة القول في أثر مراحل الدعوة في توطيد مقاصد الشرع.. مفهوم الوحدة والمساواة في منهجية السنة وأنه ارتكز على:

• التوحيد الفكري والنفسي بين الشعوب الإسلامية وفق منهجية الله تعالى وعمل النبي صلى الله عليه وسلم، وهو منهج كما اتضح استيعابي للوحدة البشرية بأكملها.

الدعوة لتناسي الخلافات والنزاعات والانشغال بهموم الأمة.

(1) سورة العنكبوت الآية: 69.

(2) سورة آل عمران الآية: 110.

الدعوة لمحاربة الظلم والفساد، وخلق فرص التعليم والعمل، وإقامة العدل بين الرعية، فالنبي صلى الله عليه وسلم بوصفه القائد الأعلى كان لا يتميز على أصحابه.

والطرح الإسلامي هدف إلى تحقيق وحدة إنسانية للبشرية جمعاء راقية، ذات قبلة واحدة، تؤمن بتعدد الثقافات، والعادات، والأجناس، والأعراق، إيماناً بتقدير الحكيم العليم، مما أثر إيجاباً على محاربة السخرية والاستهزاء والتفاضل باللون، والجنس، والقبيلة، وكافة ألوان الهدم للبناء الوحدوي، وهذا ما مَكَّنَ لأمَّة الإسلام أن تتجاوز كل العقبات في مراحل الدعوة المختلفة.

والنبي صلى الله عليه وسلم، يؤسس لمقاصد الشارع.. ويبقظة النبي صلى الله عليه وسلم، واستمرارية وضع أسس بناء الدولة الإسلامية الأم حتى رحيله صلى الله عليه وسلم عنها للرفيق الأعلى؛ كانت قد وضعت آخر لبنة لتكملة دستور توحيد الأمَّة قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} (1).

فكانت أهمية الإيمان لدى الأفراد تتمثل في أنه يحقق للأمَّة توازنها الاجتماعي والفكري، والصحة النفسية لدى الفرد والمجتمع، وهو بهذا المعنى عاملاً من عوامل التوحيد الأممي يشمل: الإسلام، والإيمان، والإحسان.. ثم مفهوم الجهاد بمعناه الإسلامي هو الإسلام بكامله، فهو ليس قتال الكفار فحسب، بل إنَّ المعنى التأسيلي للجهاد ببيان مظاهره حسب الزمان والمكان، بهذا المفهوم يأخذ الجهاد ثلاثة مظاهر محورية:

(1) سورة المائدة الآية: 3.

المظهر الأول: الجهاد التربوي:

القائم على تزكية النفس لتحقيق ذاتية التفكير، فهو بهذا المظهر يحتاج لمؤسسات، وخبراء، وميادين، وطرق، ووسائل، ومربين عاملين في مجالاته، وقد رفع النبي صلى الله عليه وسلم من هذا المظهر الجهادي فساوى فيه مداد العلماء بدم الشهداء⁽¹⁾.

المظهر الثاني: الجهاد التنظيمي:

أي تنظيم قدرات وطاقت الأمة المعنوية والمادية والبشرية، وتنسيقها بشكل يضمن حشدتها وتكاملها لتحقيق أهداف الرسالة، فهذا المظهر التنظيمي لمعنى الجهاد؛ داع إلى انسجام المؤمنين مع نواميس الخلق. وهو ما أشار الله تعالى إليه بقوله: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ}⁽²⁾.

المظهر الثالث: للجهاد الجهاد العسكري:

وغايته إزالة المعوقات الحائلة دون بقاء النوع البشري ورُقِيَّه، ويقترن هذا المظهر الجهادي بالرسالة الإسلامية، من خلال الضوابط العقدية والأخلاقية التي تحكمه وتوجهه، بحيث لا يخرج لحظة واحدة عن غايات الرسالة وأهدافها، وحين يتحقق هدف الرسالة دون قتال يتوقف الجهاد القتالي ويصير ممنوعاً.

(1) شبكة المشكاة، انترنت.

(2) سورة الأنفال الآية: 55.

وبذلك فقد تحققت الأرضية الصلبة لتثبيت مقاصد الشارع على أسس ومبادئ ربانية بتوجيه حق.. والحقيقة التي لا مرأى فيها: أن المراحل التي مرت بها الدعوة إلى الله قد لعبت دوراً مميزاً في تفعيل مقاصد الشارع دستوراً وعملاً.. وزيادة في محبة الرسول صلى الله عليه وسلم.

خاتمة

استطاع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أن يرسي مبادئاً وقيماً للإنسانية.. وأن يؤثر عبر مراحل الدعوة المحمدية إلى الله سبحانه وتعالى وتغيير العالم.. ومن خلال سيرته صلى الله عليه وسلم.. يجد الباحث أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بمدد من الخالق الأعظم سبحانه وتعالى أسس أعظم حضارة في تاريخ البشرية. وهذا دليل قاطع بأن هذه الدعوة من لدن خبير عليم.

والرسول محمد صلى الله عليه وسلم الإنسان بشر -لكنه ليس ككل البشر بل هو كالياقوت بين الحجر-.. فعل ما عجز عنه من كان قبله ومن جاء بعده -إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها-؛ من بناء وتأسيس المجتمع والدولة؛ وكان منطلق ذلك من بناء مسجد -صغير من جريد النخل والطين- وهو دلالة لأهمية المسجد في حياة الأمة لأنه ركيزة في بناء مجتمع معافى صحي متساو واشتراكي، كما هو أس وأساس للتأخي بين الناس، ومنه يتم ترسيخ مبدأ العدالة لنظام الفرد وبالتالي للمجتمع شمولاً.. وذلك عبر المقاصد الكلية للشارع في انسجام الحياة الدنيا والآخرة.

وأنه يجب المسالمة والإسرار بالدعوة إذا كان القتال يضر بها.. ولا يجوز الإسرار إذا كان الجهر بها مفيداً.. والحق أنه لا يجوز المسالمة مع الظالمين والمتربصين بها.. إذا ما توفرت وسائل ذلك وأسبابه.. والحكمة في ذلك أن الدين جاء لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.. ونادي بالمساواة.. وتلبية أشواق المستضعفين.

تَمُرُّ الأُمَّةُ الإسلاميَّةُ بواقِعٍ يتسم بالضعف، والتخلف، والتقهقر، والتقوقع، والشعور بالنقص، والرضا بالتبعية للصهيونية والصليبية، التي اتخذت من دول العالم الأول مكاناً استطاعت من خلاله بسط ثقافتها ومعتقداتها في عقر ديار الإسلام؛ بل أضحت التحديات التي ينبغي على الأُمَّة مواجهتها ومجابتها ذات فوارق عن تحديات العصور السالفة، فهي تحديات مرتبطة بعصر العولمة والتكنولوجيا والهيمنة الإعلامية، والتكتلات الاقتصادية، والإمبريالية الرأسمالية، وغيرها من وسائل القوة المادية التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً من قبل.

نتائج

أولاً: البدء بالدعوة سراً كان هدفه التدرج من طور إلى طور لأجل الوصول لغايات الدعوة وأهدافها.. وليس سببها الخوف على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أمر مهم لجميع الدعاة بأن يتعلموا ويتأسوا.

ثانياً: استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم، إنزال مقاصد الشارع على أرض الواقع عملاً وأسلوباً حياتياً خلق توافقاً وانسجاماً للإنسانية جمعاء.

ثالثاً: استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم، أن يبني شخصية المسلم الإيجابي الذي يؤثر غيره على نفسه، شخصية غير منفردة بحالها، بل اجتماعية.. ترتبط حياتها الأولى بالآخرة.. مما جعل إدارة الدنيا وما فيها لا تمثل أي هم سوى أنها مطية للآخرة بنعيمها أو عذابها.

رابعاً: التمسك بالدين وإقامة دعائمه لأنه أساس ومصدر لكل قوة..
وسياج لحفظ كل حق من مال وأرض وحرية وكرامة.. وأن يكون هذا التمسك
مدعاة لحفظ العقيدة وترسيخها.
توصيات..

لا بد من ترك ونبذ العصبية والكفر والإلحاد، بصوره الظاهرة وغير
الظاهرة.. أضف إلى ذلك العمل بالدستور الإسلامي لأنه الدستور المنقذ لأمة
الإنسانية جمعاء القرآن والإسلام، وبكل أسف غير معمول به في غالب إن لم
يكن جميع الدول الإسلامية.

التخلص من الإحساس بالانتماء للقبيلة، والجنس، والنوع، وإيثار الدعوة
العصبية على حساب الدين وأهدافه.

الابتعاد من المعوقات التي أخذت صوراً وأشكالاً تجسدت في هذه
الأفعال كالتكبر بغير حق، والاعتزاز بغير الله تعالى، والتواضع لغير الله
تعالى، والظلم الذي ينهك الوحدة بعد ثبوتها، وينافي الائتلاف، ويبعث التخاصم
والتربُّص.

حاشية ببعض أهم المراجع المستخدمة في البحث

- [1] أخبار مكة وما جاء فيها من الأثر، الأزرقى، ط بيروت ومكة المكرمة، 1979م.
- [2] البداية والنهاية في التاريخ، ابن كثير، أبو الفداء الحافظ بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، 1997م.
- [3] تفسير القرطبي، القرطبي، محمد بن أحمد أبو عبد الله، تحقيق أحمد عبد العليم البردونى، ط/2، دار الشعب، القاهرة، 1372هـ.
- [4] التنصير في إفريقيا دعوة للدين أم استعمار فكري ثقافي، د. أمين محمد سعيد الطاهر، ط1، 2010م، الخرطوم.
- [5] دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية. سعود بن عبد العزيز الخلف.
- [6] السيرة النبوية، ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام، مطبعة بابي الحلبي، القاهرة، 1955م.
- [7] السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، مركز بحوث السُّنة والسيرة، 196-195/1م.
- [8] السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مهدي رزق الله أحمد دار إمام الدعوة للنشر والتوزيع، ج1، 2003م.
- [9] شبكة المشكاة الإسلامية. انترنت.
- [10] صحيح البخاري، وصحيح مسلم.
- [12] فقه السيرة، البوطي، محمد رمضان البوطي، بيروت، 1999م.

- [13] فقه السيرة، الغزالي، الشيخ محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، 1418هـ/1965م.
- [14] قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي، الكيلاني، عبد الرحمن إبراهيم، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ودار الفكر بدمشق، 2000م.
- [15] الكامل في التاريخ، ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن الجزري، دار صادر، بيروت، 1996م.
- [16] المستصفي من أصول الفقه، الغزالي، أبو حامد، ومعه فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، دار بيروت.
- [17] الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة د. ناصر العقل و د. ناصر القفاري.
- [18] المدخل السهلا لدراسة الأديان في إفريقيا وآسيا، د. أمين محمد سعيد الطاهر، ج1، أولاً: اليهود واليهودية في إفريقيا، ط1، 2012م.
- [19] الموافقات، الشاطبي، أبو إسحاق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، 1969م.